الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
إيبارشيَّة لوس أنجيلوس
قناة لوغوس
تمَّ تسجيلها على مدى ثلاث حلقات، كلّ حلقة لمدَّة ٢٥ دقيقة
سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٤م

سرّ الفداء بموت الصَّليب في بعض النُّصوص اللِّيتورجيَّة وفي بعض كتابات آباء الكنيسة

القُدَّاس المرقسي (الكيرلُّسي) .....

- ''**بذلتَ ابنك الحبيب عن حياتنا وخلاصنا**''.
- ''لانَّ ابنك الوحيد ربَّنا وإلهنا ومخلِّصَنا وملكنا كلّنا يسوع المسيح، **في اللَّيلة التي أَسلم ذاته فيها ليتألَّم عن خطايانا، والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنَّا كلِّنا** ...''.
- ''**المخافة من أجل الذي تألَّم بالجسد عنَّا وأقام غلبة الصَّليب** ... ليهرب عنَّا ... المجد الباطل من أجل **الذي لُطِم وجُلد من أجلنا**، و لم يرُد وجهَه عن خزي البُصاق. (ليهرب عنَّا) الحسد والقتل والافتراق والبُغضة من أجل حمل الله حامل خطيئة العالم. (ليهرب عنَّا) الغضب وتذكار الشَّر، من أجل الذي سمَّر كتاب يد خطايانا في الصَّليب''.

القُدَّاس الباسيلي .....

- ''لأنك أنت هو **ذبيحة المساء** الحقيقيَّة الذي **أصعدت ذاتك من أجل خطايانا على الصَّليب المكرَّم، كإرادة أبيك الصَّالح**'' (سرّ بخور عشيَّة).
- ''هذا الذي **أصعد ذاته** ذبيحة مقبولة على **الصَّليب** عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصَّالح وقت المساء على الجلجلة''.
- ''الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس، **هدمته**''.
- ''هذا الذي **أحب خاصته الذين في العالم، وسلَّم ذاته فداءً عنَّا**، إلى (حدِّ) الموت الذي تملَّك علينا، هذا الذي كنَّا ممسَكين به، مبيعين من قِبَل خطايانا''.
- ''لأنه **فيما هو راسم، أن يُسلِّم نفسه للموت عن حياة العالم**''.
- ''لأنَّ كلَّ مرَّة تأكلون من هذا الخُبز، وتشربون من هذه الكأس، **تبشِّرون بموتي**''.
- ''آمين آمين آمين **بموتك يارب نبشِّر**''.
- ''أنت الآن يا سيِّدُنا الذي نرفع عيونَ قلوبنا إليك، أيها الرَّبُّ الغافر آثامَنا، **ومُخلِّص نفوسَنا من الفساد**'' (صلاة خضوع للابن).
- ''**اعترفنا بآلامه المخلِّصة، بشَّرنا بموته، آمنَّا بقيامته، وكمُل السِّر**''.
- ''هذه (الكنيسة) التي اقتنيتها لك **بالدَّم الكريم الذي لمسيحك**''.
- ''الذي **أعطانا الخلاص من خطايانا بابنه الوحيد** يسوع المسيح ربِّنا، حياة كلِّ أحد''.
- ''**وصُلب عنَّا** على عهد بيلاطس البنطي، **تألَّم وقُبر**'' (قانون الإيمان).
- ''**أسلمه عنَّا** (أي الجسد المحيي الذي ليسوع المسيح ربِّنا) **على خشبة الصَّليب المقدَّسة بإرادته وحده عنَّا كلِّنا**''.

القُدَّاس الغريغوري .....

- ''أنت يا سيِّدي **حوَّلت لي العقوبة خلاصاً**. كراع صالح، سعيت في طلب الضَّال. كأب حقيقي، تعبتَ معي أنا الذي سقط. ربطني بكلِّ الأدوية المؤدِّية إلى الحياة. أنت الذي **خدمت لي الخلاص لمَّا خالفتُ ناموسك**، كنور حقيقي أشرقت للضَّالين وغير العارفين''.
- ''**أتيت إلى الذَّبح مثل خروف حتى إلى الصَّليب** ... **قتلت خطيئتي بقبرك**''.
- ''**يا الله الذي أسلم ذاته عنَّا خلاصاً من أجل خطايانا**''.
- ''أيها الكائن الذي كان، الذي أتى وأيضاً يأتي، الذي تجسَّد وتأنَّس **وصُلب على الصَّليب من أجلنا. تألَّم بإرادته بالجسد**، وكان غيرَ متألِّم كإله ...''.

صلوات القسمة .....

- ”الصَّوم والصَّلاة هما اللَّذان عمل بهما الشُّهداء حتى سفكوا دماءهم من أجل اسم **المسيح الذي اعترف الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطي**“.
- ”أنت الذي إشعياء النَّبي تنبأ من أجلك قائلاً: «**مثل خروف سيق إلى الذَّبح، ومثل حمل بلا صوت أمام الذي يجزَّهُ، هكذا لم يفتح فاه**، رُفع حُكمه في تواضعه، وجيله من يقدر أن يقُصَّه». **جُرحت لأجل خطايانا، وتوجَّعت لأجل آثامنا، تأديبُ سلامنا عليك، وبجراحاتك شُفينا**. كنَّا كلُّنا ضالين مثلَ خراف، أتيتَ يا سيِّدَنا، وأنقذتنا بمعرفة صليبك الحقيقيَّة، وأنعمت لنا بشجرة الحياة التي هي جسدِك الإلهي ودمِك الحقيقي“.
- ”**الذي صُلب على الصَّليب، وسحق الشيطان، ووُضع في القبر**. وبعد ثلاثة أيام قام من بين الأموات“.
- ”هكذا **بالحقيقة تألَّم كلمة الله بالجسد، وذبح، وانحنى بالصَّليب**“.
- ”**وطُعن في جنبه بالحربة، وجرى منه دم وماء غفراناً لكلِّ العالم. وتخضَّب بهما جسدَه** ... وعوض الخطيئة المحيطة بالعالم مات الابنُ بالصَّليب، وردَّنا من التَّدبير الشَّمالي إلى اليميني، وأمَّن بدم صليبه، ووحَّد وألَّف السَّمائيِّين مع الأرضيِّين، والشَّعب مع الشُّعوب والنَّفْس مع الجسد“.
- ”**أنت هو المسيح إلهُنا الذي طُعن في جنبه فوق الجلجلة بأورشليم لأجلنا**“.

ثيؤطوكيَّة الأحد .....

- ”هذا الذي **أصعد ذاته** ذبيحة مقبولة على الصَّليب **عن** خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصَّالح وقت المساء على الجلجلة“.

تسابيح وصلوات يوم جُمعة خلاصنا.....

- المسيح مخلِّصنا، **جاء وتألم، لكي بآلامه يخلِّصنا**، فلنمجِّده، ونرفع اسمه، لأنه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته.
- أيها الابن الوحيد وكلمة الله الذي لا يموت. وأنت الأزلي **قبلتَ من أجل خلاصنا**، أن تتجسَّد من القدِّيسة والدة الإله الدَّائمة البتوليَّة مريم. فبغير استحالة تأنَّستَ وصُلبتَ أيها المسيح الإله. وبالموت دستَ الموت، أنت أحدُ الثَّالوث القدُّوس، الممجَّد مع الآب والرُّوح القُدُس، خلِّصنا.
- قدُّوسٌ الله الذي **من أجلنا** صار إنساناً، بغير استحالة، وهو الإله. قدُّوسٌ القوي الذي أظهر بالضَّعف ما هو أعظمُ من القوَّة. قدُّوسٌ الذي لا يموت، يا من صُلبت **من أجلنا**. وصبرتَ على موت الصَّليب، وقبلته في جسدك، وأنت أزليٌّ غيرُ مائت، أيها الثَّالوث القدُّوس، ارحمنا.

انظر للأهميَّة: رومية ٥:١٢-١٩

* * *

قضيَّة موت المسيح ”عنَّا“ أو ”عوضاً عنَّا“ أو ”من أجلنا“!

الذي يحل هذه القضيَّة ويجعل من جميع التَّعبيرات السَّابق أو الآتي ذكرها تعبيرات صحيحة من الوجهة الإيمانيَّة، هو نقطة واحدة فاصلة، سبق أن ذكرتُها عند الحديث عن التَّجسُّد الإلهي، وهي أنَّ المسيح تجسَّد، **ليجمع كلَّ شيء في نفسه، ويصير الجميع واحداً في المسيح**. وأكرِّر هنا قولاً سبق ذكره للقدِّيس كيرلُّس الكبير، حيث يقول:

[لقد حلَّ الكلمة في الجميع بحلوله في هيكل جسده الواحد المأخوذ منَّا ولأجلنا، **حتى يقتني الجميع في نفسه، فيُصالح الكُل في جسد واحد مع الآب**، كما قال بولس (أفسس ٢: ١٦)] (شرح إنجيل يوحنَّا ١٤:١).

ويقول الكتاب المقدَّس: «**الذي فيه** لنا الفداء ἐν ᾧ ἔχομεν τὴν ἀπολύτρωσιν بدمه، غفران الخطايا حسب عِنى نعمته» (أفسس ١:٧)[1]. ولم يقل الكتاب المقدَّس: ”الذي به δι᾽ οὗ“ بل يقول: ”الذي فيه ἐν ᾧ“. ومعنى هذا أنه لابد أن نكون متَّحدين بالمسيح، لكي ننال الفداء الذي أكمله عنَّا أو من أجلنا.

١- انظر أيضاً: كولوسي ١:١٤

فنحن لا نستطيع أن نبني إيماننا على فقه اللُّغة العربيَّة وحدها، وخصوصاً على حروف الجر فيها وما شابهها، لأنَّ نصوص الإيمان سواءٌ الكتابيَّة، أو اللِّيتورجيَّة، أو الآبائيَّة، وصلتنا باليونانيَّة أولاً، ثمَّ تُرجمت إلى اللُّغة القبطيَّة الصَّعيديَّة، ومن القبطيَّة الصَّعيديَّة إلى اللُّغة القبطيَّة البحيريَّة، ومن القبطيَّة البحيريَّة إلى اللُّغة العربيَّة. فالعودة إلى النَّص الأصلي، واجبٌ حتميٌّ عند الحديث عن كلمات أو تعبيرات في اللُّغة العربيَّة تختص بالإيمان أو العبادة اللِّيتورجيَّة، لأنَّ التَّرجمة من لغة إلى لغة، تستوجب تعديلات تناسب اللُّغة التي تُترجم إليها. وعلى ذلك، فإنَّ تعبيرَي: "مات المسيح عنَّا" أو "مات المسيح لأجلنا" صحيحان، طالما ظلَّ التَّأكيد قائماً على أننا كنَّا في المسيح عندما صُلب ومات وقام وصعد إلى السَّموات وجلس عن يمين أبيه.

وأمَّا تعبير "عنَّا"، فتكمُن صعوبته عند المتكلمين بالعربيَّة، في أنه من بين المعاني التي تحملها كلمة "عنَّا" معنى "البدليَّة"، أي: "بديلاً عن". ولا يمكن أن يكون المسيح قد مات بديلاً عنَّا، أو عوضاً عنَّا فقط، بدون أن نشترك نحن في شبه موته، لأنَّ ذلك يعني أننا لم نمُت مع المسيح، وبالتَّالي لم نقُم معه. ومن ثمَّ يبطُل سرُّ الفداء، وتبطل جميع أسرار الكنيسة أيضاً.

ولنأخذ لذلك مثالَين من النُّصوص اللِّيتورجيَّة السَّابق ذكرها:

المثال الأوَّل:

"هذا الذي أحب خاصته الذين في العالم، وسلَّم ذاته فداءً **عنَّا** ".

فالنَّص اليوناني للقدَّاس الباسيلي يذكر هنا: "... وبذل ذاته فدية للموت الذي تملَّك علينا". وأمَّا النَّصُّ القبطي للقُدَّاس الباسيلي فيقول: **ⲁϥⲧⲏⲓϥ ⲙ̀ⲙⲓⲛ ⲙ̀ⲙⲟϥ ⲛ̀ⲥⲱϯ ϩⲁⲣⲟⲛ** أي: "وسلَّم ذاته فداءً (خلاصاً) **عنَّا** أو **(من أجلنا)**". ذلك لأنَّ **ϩⲁ** تعني: "عن – بشأن – بخصوص – لأجل"[٢].

المثال الثَّاني:

"أسلمه **عنَّا** (أي الجسد المحيي الذي ليسوع المسيح ربِّنا) على خشبة الصَّليب المقدَّسة بإرادته وحده **عنَّا** كلِّنا".

النَّص اليوناني يعني: "وأسلمه **لأجلنا** جميعاً ὑπὲρ ἡμῶν πάντων على خشبة الصَّليب المقدَّس بإرادته". وأمَّا النَّص القبطي فيقول: **Ⲁϥⲧⲏⲓⲥ ⲉ̀ϩ̀ⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲛ** أي: "أسلمه عنَّا أو (لأجلنا) ...". ذلك لأنَّ **ⲉ̀ϩ̀ⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲛ** تعني: "عنَّا – بسببنا – لأجلنا"[٣].

يقول إغناطيوس الشَّهيد:

[يسوعُ المسيح الذي مات لأجلكم، والذي إذا آمنتم بموته، تخلُصون من الموت] (تراليان ٢).

[إن احتملتم شدائدكم لأجله، فلابد أن تصلوا إليه] (أزمير ٩).

[إذا لم نختر بملء حريتِّنا أن نموت معه لنشترك في آلامه، فحياته ليست فينا] (مغنيسيا ٥).

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[كان أمام كلمة الله ... يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت **أن يوفي مطلب الآب العادل المطالَب به الجميع**[٤]. وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكُل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدِّد خلقة كلِّ شيء، وأن يتحمَّل الآلام **عوضاً عن الجميع** وأن يكون **نائباً عن الجميع لدى الآب**] (تجسد الكلمة ٧:٥).

[وهكذا إذ **أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتها**، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، **فقد بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع، وقدَّمه للآب**. كل هذا فعله شفقة منه علينا. وذلك (أولاً) **لكي يُبطل النَّاموس الذي كان يقضي بهلاك البشر**، **إذ مات الكُل فيه**، لأنَّ سُلطان الموت قد أُكمل في جسد الرَّب، ولا يعود ينشب أظفاره في البشر الذين ناب عنهم. (ثانياً) **لكي يعيد البشر على عدم الفساد** بعد أن عادوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، ويبيد الموت منهم كما تبيد النَّار القش] (تجسد الكلمة ٤:٨).

٢– انظر قاموس معوَّض داود عبد النُّور، ٢٠٠٠م، ص ٦٢٦

٣– نفس المرجع، ص ٥٠

٤– أي حكم الموت.

[إذ رأى "الكلمة" أنَّ فساد البشريَّة لا يمكن أن يُبطَل إلاَّ بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمَّل "الكلمة" الموت لأنه غير مائت بسبب أنه ابنُ الآب، **لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت**، حتى باتحاده "بالكلمة"، الذي هو فوق الكُل، يكون جديراً أن **يموت نيابة عن الكُل**، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحلَّ فيه، وحتى **يتحرَّر الجميع من الفساد منذ ذلك الحين فصاعداً**، بنعمة القيامة من بين الأموات. وإذ قدَّم للموت ذلك الجسد الذي أخذه لنفسه، كمحرَقة وذبيحة خالية من كلِّ شائبة، فقد رَفع حُكمَ الموت فوراً عن جميع من ناب عنهم، إذ قدَّم عوضاً عنهم **جسداً مماثلاً لأجسادهم**.

ولأن كلمة الله متعال فوق الكُل، فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفي الدَّين بموته، وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشريَّة لأجل حياة الجميع. **وإذ اتحد ابن الله عديم الفساد بالجميع بطبيعة مماثلة**[٥]، **فقد ألبس الجميع عدم الفساد، بطبيعة الحال، بوعد القيامة من الأموات**. لأنه لم يعد ممكناً أن ينشب فساد الموت الفعلي، أظفاره في البشر، وذلك بسبب "الكلمة" الذي جاء وحل بينهم بجسده الواحد] (تجسد الكلمة ١:٩، ٢).

[وهذه كلُّها يمكن للمرء أن يتحقَّقها من كَتَبَة الإنجيل، الذين كتبوا بإلهام الرُّوح القُدُس، إذا اطلع على كتاباتهم التي فيها يقولون «لأنَّ محبة المسيح تحصرنا إذ نحن نحسب هذا، أنه **إن كان واحدٌ قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا**. وهو مات لأجل الجميع كي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا، بل للذي **مات لأجلنا** وقام»[٦] ... «ولكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت **لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كلِّ واحد**»[٧]] (تجسد الكلمة ٢:١٠).

[لأنه جعل حتى الخليقة تخرج عن صمتها. أليس مدهشاً أن تذكر (الكُتُب) أنه حتى في موته، أو بالحري في انتصاره الفعلي في الموت، أعني في الصَّليب، اعترفت كلُّ الخليقة بأنَّ من ظهر وتألم في الجسد لم يكن مجرَّد إنسان بل ابن الله ومُخلِّص الكُل؟ فالشَّمس أخفت وجهها، والأرض تزلزلت، والجبال تشققت، وسادت كلُّ البشر رهبة شديدة. كلُّ هذه الأمور بيَّنت أنَّ المسيح الذي على الصَّليب هو الله، **إذ صارت كلُّ الخليقة خاضعة له خضوع العبيد**، وشهدت برُعبها وفزعها لحضور سيِّدها. وهكذا أعلن الله "الكلمة" نفسه وقتئذ للبشر بأعماله] (تجسد الكلمة ٣:١٩)[٨].

[ما دام الجسد قد اشترك في ذات الطَّبيعة مع الجميع لأنه كان جسداً بشرياً ... فكان لابد أن يموت أيضا كسائر البشر نظرائه، لأنه كان جسداً قابلاً للموت. ولكنه بفضل اتحاده "بالكلمة"، لم يعُد خاضعاً للفساد بمقتضى طبيعته، بل خرج عن دائرة الفساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه.

وهكذا تمَّ عملان عجيبان في الحال: أوَّلهما إتمام موت الجميع في جسد الرَّب. والثَّاني القضاء على الموت والفساد كُليَّة بفضل اتحاد الكلمة بالجسد. لأنه كان لابد من الموت، وكان لابد أن يتم الموت نيابة عن الجميع، لكي يوفي الدَّين المستحَق على الجميع.

ولمَّا كان مستحيلاً أن يموت "الكلمة" لأنه غير قابل للموت، فقد أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، حتى يمكن أن يقدِّمه كجسده نيابة عن الجميع، وحتى إذا ما تألم نيابة عن الجميع باتحاده بالجسد «يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كلَّ حياتهم تحت

٥- وهكذا باتخاذه جسدًا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم ... الخ.
٦- "كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام". ٢ كورنثوس ١٤:٥، ١٥
٧- عبرانيِّين ٢ : ٩
٨- إنَّ كتاب "تجسُّد الكلمة للبابا أثناسيوس الرَّسولي، يحوي ٥٧ فصلاً. وعند نهاية الفَصل التَّاسع عشر من الكتاب، يقول البابا أثناسيوس: [إنَّ الخطوة التَّالية لنا في هذا البحث، هي أن نتأمَّل ونتحدَّث عن نهاية حياته بالجسد، وعن طبيعة موت جسده، سيَّما وأنه في هذا يتلخَّص إيمانُنا، وهذا هو الشُّغل الشَّاغل لأفكار الجميع بلا استثناء، حتى يتَّضح لك يقيناً أنَّ المسيح هو الله وابن الله] (تجسد الكلمة ٤:١٩).

العبودية»[٩]] (تجسد الكلمة ٢٠:٤-٦).

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[«وأتوا إلى موضع يُقال له جلجثة، وهو المسمَّى موضع **الجمجمة**...» (متى ٢٧:٣٣). لم يتألَّم في مكان آخر، ولا صُلِب إلاَّ في موضع الجمجمة، حيث يوجد قَبْرُ آدم، بحسب ما يقول معلِّمو العبرانيِّين. إذ يؤكِّدون أنه دُفن فيه من بعد اللَّعنة. فإن كان الأمر هكذا، فأنا متعجِّب من مناسبة هذا الموضع! فإنه كان يتحتَّم أنَّ الرَّب – وهو يُريد أن يُجدِّد آدم الأوَّل – يتألم في ذلك الموضع، حتى ينقض خطيئة آدم، وبالتَّالي يرفعها عن سائر جنسه. وحيث أنَّ آدم سمع: «**أنت تُراب وإلى تُراب تعود**»، فبسبب ذلك وُضع الرَّب في هذا الموضع، ليفتقد آدم وينقض اللَّعنة، وبدلاً من «أنت تُراب وإلى التُّراب تعود»، يقول له: «استيقظ أيها النَّائم وقُمْ من الأموات، فيضيء لك المسيح» (أفسس ٥:١٤). وأيضاً: «قُمْ وتعالَ اتبعني»، لكي لا تبقى مطروحاً على الأرض، بل تصعد معي إلى السَّماء. **فإنه كان ينبغي عندما يقوم المخلِّص، أن يُقام معه آدم وسائر الذين خرجوا من آدم**] (عظة عن آلام الرَّب وصلبه).

ويوجز البابا أثناسيوس الأمر بقوله:

[جاء لكي يتألَّم بالجسد فيصير بالتَّالي الجسد فائقاً للألم وللموت. لقد جاء لكي يأخذ على نفسه المذلة وبقيَّة الشُّرور، لئلاَّ تقع على النَّاس فيما بعد، بل تبطل نهائيًّا بواسطته. وأيضاً لكي يدوم النَّاس فيما بعد غير فاسدين إلى الأبد، إذ صاروا هياكل للكلمة][١٠].

لماذا كان يتحتَّم أن يموت الرَّب بالجسد، مصلوباً وعلانية؟

يلخِّص البابا أثناسيوس الإجابة عن هذا السؤال في البنود التَّالية:

- لو أسلم الرَّبُّ جسده على فراش في مكان ما سرًّا، كعادة البشر، لاعتُبر بأنه فعل ذلك عن ضعف. ولكنَّه هو قوَّة الله.
- لم يكن لائقاً أن يسبق المرض موته، لئلاَّ يُنسب الضَّعف لذاك الذي كان في الجسد.
- إنه لكي يتم حُكم الموت فيه نيابة عن الجميع، كان لابد أن يكون هذا بمرأى من الجميع.
- لم يسع إلى الطَّريقة التي يُقدِّم بها ذبيحته عن الآخرين، بل قبلها من أيدي الآخرين[١١].
- لو كان موت جسده قد تمَّ سرًّا في أيِّ مكان، لكانت قيامته قد اختفت، و لم يقُم لها دليل.
- صار الموت الذي اختاروه له مبالغة في تحقيره، صار هو بالذَّات علامةً للانتصار على الموت نفسه، إذ حُفظ جسده سليماً.
- كيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يُصلب؟ لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلاَّ على الصَّليب.

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[لعلَّ متسائلاً يقول: إن كان لابد له أن يُسلِّم جسده للموت نيابة عن الجميع، فلماذا لم يضع هذا الجسد كأي إنسان سراً بدلاً من أن يشهِّر به إلى هذا الحد ويموت مصلوباً؟ إنه كان أكثر لياقة أن يسلِّم جسده بكرامة ووقار من أن يحتمل موتاً مُشيناً كهذا.

ورداً على هذا أقول: إنَّ اعتراضاً كهذا، لا يمكن إلاَّ أن يكون بشرياً، بينما ما فعله المُخلِّص هو إلهيٌّ حقاً، ولائق بلاهوته. وذلك لأسباب كثيرة. **أوَّلاً**: إنَّ الموت الذي يصيب البشر، يأتيهم لأنه يتناسب مع ضعف طبيعتهم. فإنهم إذاً لا يستطيعون البقاء على حال واحدة، لكنَّهم ينحلُّون مع الزَّمَن. بسبب هذا أيضاً تنتابهم الأمراض ثم يموتون. أمَّا الرَّب، فإنه ليس ضعيفاً، بل هو قوَّة الله، وكلمة الله، وهو الحياة عينها.

٩- عبرانيِّين ٢:١٤، ١٥

١٠- ضد الأريوسيِّين ٣:٥٨ *N.P.N.F.* 425

١١- «كشاة سيق إلى الذبح، وكخروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه» (إشعياء ٥٣:٧).

ولو أنه أسلم جسده في مكان ما سراً، وعلى فراش كعادة البشر، لأعُتبر بأنه فعل ذلك أيضاً نظراً لضعف طبيعته، ولأنه لم يكن فيه ما يميِّزه عن سائر البشر. أمَّا وأنه **أوَّلاً** كان الحياة وكلمة الله، **وثانياً كان من الضَّروري أن يتم حُكم الموت نيابة عن الجميع**، لهذا نال الجسد منه قوَّة لأنه هو القوَّة، وهو الحياة.

هذا من جهة، ومن الجهة الأُخرى، فما دام الموت لابد أن يتم، فإنه **لم يسع بنفسه إلى الفرصة التي بها يتمِّم ذبيحته، بل قبلها من أيدي الآخرين**. لأنه لم يكن لائقاً أن يرقد الرَّب في فراش المرض وهو الذي شفى أمراض الآخرين، و لم يكن لائقاً أن تنحل قوَّة ذلك الجسد الذي به قوَّى ضعفات الآخرين.

ولماذا لم يتجنب الموت كما تجنب المرض؟ ذلك لأنه لهذا اتخذ الجسد، **ولم يكن لائقاً أن يمنع الموت لئلا تمتنع القيامة أيضاً**. كما أنه **لم يكن لائقاً أن يسبق المرض موته لئلا يُنسب الضَّعف لذاك الذي كان في الجسد**. ولكن ألم يكابد الجوع؟ نعم إنه جاع كما يليق بخواص جسده، على أنه (أي الجسد)، لم يُمت من الجوع من أجل الرَّب الذي لبسه. لهذا فإنه **وإن كان قد مات لفداء الجميع، لكنَّه لم ير فساداً، لأن جسده قام ثانية سليماً جداً، إذ لم يكن سوى جسد ذاك الذي هو الحياة ذاتها**.

وفضلاً عن ذلك فإنَّ **المخلص لم يأت لكي يتمِّم موته هو، بل موت البشر** لذلك لم يضع جسده بموت أتى به من نفسه[١٢] لأنه هو الحياة، و لم يكن قابلاً للموت، بل **قبل الموت الذي أتاه من البشر**، لكي يبيده نهائياً عندما يلتقي به في جسده] (تجسد الكلمة ٣:٢١-٧ ؛ ٣:٢٢).

[... فالموت لابد أن يسبق القيامة، لأنه لا يمكن أن تكون قيامة ما لم يسبقها الموت. **ولو كان موت جسده قد تم سراً** في أي مكان، و لم يكن ظاهراً و لم يتم أمام شهود، **لكانت قيامته أيضا قد اختفت ولم يقُم لها دليل**] (تجسد الكلمة ١:٢٣).

[وهكذا تمَّ أمر عجيب ومدهش، لأنَّ الموت الذي اختاروه له، للمبالغة في تحقيره، كان بالذَّات علامة للانتصار على الموت نفسه. ولهذا لم يمت موت "يوحنَّا" بقطع رأسه وفصلها عن جسده، ولا مات موت "إشعياء" بنشر جسده وشطره نصفَين، **وذلك لكي يحفظ جسده سليماً غير مجزأ حتى في موته، ولكي لا تعطي حجَّة للذين يريدون أن يُقسِّموا الكنيسة**] (تجسد الكلمة ٤:٢٤).

[كان موت الرَّب قد صار كفَّارة عن الجميع، وبموته نقض حائط السِّياج المتوسِّط[١٣]، وصارت الدَّعوة لجميع الأُمم، فكيف كان ممكناً أن يدعونا إليه لو لم يُصلب؟ لأنه لا يمكن أن يموت إنسان وهو باسط ذراعيه إلاَّ على الصَّليب. لهذا **لاق بالرَّب أن يحتمل هذا الموت ويبسط يديه، حتى باليد الواحدة يجتذب الشَّعب القديم، وبالأخرى يجتذب الذين هُم من الأمم، ويتَّحد الاثنان في شخصه**. وهذا هو ما قاله بنفسه، مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يفدي بها الجميع «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع»[١٤]] (تجسد الكلمة ٣:٢٥، ٤).

كيف صُلب إنسانُنا العتيق مع المسيح؟

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[ينبغي أن نبحث باهتمام ما هو إنسانُنا العتيق، وما هو جسد الخطيئة الذي يُبطَل، وبأيَّة كيفية صُلب مع المسيح؟ ... الرَّسول يقصد من "جسد الخطيئة" ومن "إنساننا العتيق"، الجسد التُّرابي الذي له حتميَّة الفساد بحسب حالته القديمة التي في آدم. فقد حُكم علينا بذلك في آدم أوَّلاً، وتفاقم الدَّاء بمحبة الشَّهوات، لأنَّ هذه حالة

---

(١٢) انظر يوحنَّا ١٠:١٧، ١٨
(١٣) أفسس ٢ : ١٤
(١٤) يوحنا ١٢ : ٢٣

الجسد بحسب طبعه من غرائزه المغروسة فيه.

فكيف إذاً صُلب مع المسيح؟ لقد صار الابن الوحيد إنساناً، واقتنى لنفسه الجسد التُّرابي الذي كان محكوماً عليه بالموت، كما قلتُ، بحسب حالته القديمة في آدم، والذي صار كأنه يتمخّض بسبب غرائزه المغروسة فيه بميل جارف للخطيئة. لكن ناموس الخطيئة انتفى في الجسد المقدّس كليِّ الطُّهر الذي للمسيح.

فنحن لا نقول قط إنَّ أية آلام بشريَّة مَعيبة كانت تتحرّك فيه، إلاَّ فقط ما لا لوم فيه، مثل الجوع والعطش والتَّعب وكلُّ ما يصنعه فينا ناموس الطَّبيعة بدون عيب. ومع أنَّ ناموس الخطيئة لم يتحرّك قط في المسيح بسبب تفوُّقه بقوَّة اللوغوس الذي كان يُدبِّره، **إلاَّ أنَّ طبيعة الجسد في حدِّ ذاتها، حتى حينما نعتبرها في المسيح، فإننا لا نجدها مختلفة عن طبيعتنا.**

ونحن قد صُلبنا معه لمّا صُلب جسده الذي كانت فيه كلُّ طبيعتنا، بمثل ما حدث في آدم أنه لمّا لُعن اعتلّت الطَّبيعة كلُّها باللّعنة. هكذا يُقال أيضاً إننا أُقمنا مع المسيح وأُجلسنا معه في السَّماويات. **لأنَّ عمانوئيل مع أنه يفوقنا كإله، لكن من حيث إنه صار مثلنا، فهو يُعتبر واحداً منّا، قد قام وصار جليساً مع الله الآب.**

هكذا أيضاً صُلب معه إنسانُنا العتيق، وانحلَّت بقيامته قوَّة اللعنة القديمة، و''بطُل جسد الخطيئة'' (رومية ٦:٦)، **ولا أعني الجسد بصفة مطلقة، ولكن الشَّهوات المغروسة فيه، التي كانت دائماً تُقلق الذِّهن بالأمور المخزية، وتلقيه في طين وحمأة الملذّات التُّرابية.**

وأمّا أنَّ هذه الأمور قد تحقَّقت في المسيح لصالح الطَّبيعة البشريَّة، فكيف يشك أحدٌ في ذلك بينما يقول القدِّيس بولس بوضوح: «ما كان النَّاموسِ عاجزاً عنه فيما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة، ولأجل الخطيئة، دان الخطيئة بالجسد» (رومية ٨: ٣).

أترى إذاً كيف بطُل جسد الخطيئة؟ لقد دينت في الجسد شوكة الخطيئة وماتت أولاً في المسيح، ثمَّ انتقلت διαβέβηκε هذه النِّعمة من خلاله، وبواسطته، إلينا أيضاً] (تفسير رومية ٦:٦).

معنى قول المسيح على الصَّليب: «إلهي إلهي لماذا تركتني؟»

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[ماذا يقصد إذاً بقوله «إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» نقول: إنه لمَّا داس أبونا الأوَّل آدم الوصيَّةَ المعطاة له، وتغاضى عن النَّواميس الإلهيَّة، **قد "تُركت" الطَّبيعة البشريَّة بنوعٍ ما من قِبَل الله**، بل وصارت بسبب ذلك ملعونةً ومستوجبةَ الموت. فلمّا سكن الكلمة ابنُ الله الوحيد الجسدَ المصاب ليُجدِّده، وأمسك بنسل إبراهيم وصار مشابهاً لإخوته (عبرانيِّين ٢: ١٦-١٧)، كان يجب أن يضع حدًّا لهذا ''**التَّرك**'' الذي أصاب الطَّبيعة البشريَّة، كما وضع حدًّا للَّعنة القديمة وللفساد المندس فينا. **لذلك بصفته واحداً من المتروكين**، إذ قد اشترك معنا وماثلنا في اللَّحم والدَّم، قال «لماذا تركتني؟».

فهذا قول شخصٍ يُبطل بالفعل التَّرك الذي أصابنا، ويستميل لنفسه الآب، داعياً رضاه علينا، **وكأنه يدعوه على نفسه هو أوَّلاً**. فقد صار المسيح لنا بدايةً ومصدراً لجميع الخيرات، وكلَّما قيل إنه ينال بصفته البشرية شيئاً من الآب، فذلك لكي يوصِّله لطبيعتنا نحن. **أمَّا هو في ذاته، فكامل ولا يُعوزه شيء قط، إذ أنه هو الله**] (عن الإيمان القويم للملكات).

وفي الختام:

إنَّ المحبَّة الكائنة والمتبادَلة بين أقانيم الثَّالوث القدُّوس، لا يمكن أن تختل ولو إلى لحظة واحدة، لئلاَّ تختل وحدة الثَّالوث القدُّوس. ذلك لأنَّ «الله محبَّة». فالآب هو المحب لابنه دائماً منذ الأزل وإلى الأبد، حتى عند الصَّليب. والابن هو محبوب الآب دائماً منذ الأزل وإلى الأبد، حتى عند الصَّليب. والرُّوح القُدُس هو رباط المحبَّة الكائنة أبداً بين الآب والابن.

- «هكذا أحبَّ الله (الآب) العالم، حتى **بذل ابنه الوحيد**، لكي لا يهلك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياةُ الأبديَّة» (يوحنَّا ٣:١٦). الآب بذل ابنه الوحيد الحبيب الذي هو منه، شفقة منه علينا.
- «الذي **بذل نفسه** لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم، ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة» (تيطس ٢:١٤).

والآيات الآتية، تشرح لنا، وبدون تعقيب عليها، البنود التَّالية:
أوَّلاً: علاقة الحُب الكائنة بين الآب والابن.
ثانياً: الآب قد أخضع كلَّ شيء تحت قدمي الابن.
ثالثاً: رؤية الآب لموت الابن على الصَّليب.

- «**الآب يُحب الابن، وقد دَفَعَ كلَّ شيء إلى يديه**» (يوحنَّا ٣:٣٥).
- «**الآب يُحب الابن، ويُريه جميع ما هو يعمله**» (يوحنَّا ٥:٢٠).

- «وصوت من السَّموات قائلاً: **هذا هو ابني الحبيب** الذي به سُررت» (متى ٣:١٧).
- «ليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم **كما أحببتني**» (يوحنَّا ١٧:٢٣).
- «ليكون فيهم **الحب الذي أحببتني به**، وأكون أنا فيهم» (يوحنَّا ١٧:٢٦).
- «هوذا عبدي الذي أعضده، **مختاري الذي سُرَّت به نفسي**، وضعت روحي عليه، فيُخرج الحقَّ للأُمم» (إشعياء ٤٢:١).

- «**كلُّ شيء قد دُفع إليَّ من أبي**» (متى ١١:٢٧)، و (لوقا ١٠:٢٢).
- «فتقدَّم يسوع وكلَّمهم قائلاً: **دُفع إليَّ كلُّ سُلطان في السَّماء وعلى الأرض**» (متى ٢٨:١٨).
- «يسوع وهو عالم أنَّ **الآب قد دفع كلَّ شيء إلى يديه**، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي» (يوحنَّا ١٣:٣).
- «إذ **أعطيته سلطاناً على كلِّ جسد، ليعطي حياة أبديَّة لكلِّ من أعطيته**» (يوحنَّا ١٧:٢).
- «الرَّب قال لي: أنت ابني، وأنا اليَوم ولدتك. سلني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، و**سلطانُك إلى أقصاء الأرض**» (مزمور ٢:٨).
- «الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السَّماء، **وملائكة وسلاطين وقوَّات، مُخضَعة له**» (١بطرس ٣:٢٢).
- «**وأخضع كلَّ شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كلِّ شيء للكنيسة**» (أفسس ١:٢٢).
- «كلَّمنا في هذه الأيام في ابنه، **الذي جعله وارثاً لكلِّ شيء**، الذي به أيضاً عمل العالمين» (عبرانيِّين ١:٢).
- «**الآب** لا يُدين أحداً، بل قد **أعطى كلَّ الدَّينونة للابن**» (يوحنَّا ٥:٢٢).

- «أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه النَّاس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصَّليب. **لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كلِّ اسم، لكي تجثو باسم يسوع، كلُّ رُكبة ممَّن في السَّماء ومن على الأرض، ومن تحت الأرض، ويعترف كلُّ لسان، أنَّ يسوع المسيح هو ربٌّ، لمجد الله الآب**» (فيلبي ٢:٩-١١).
- «لهذا يحبُّني الآب، لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. **لي سُلطان أن أضعها، ولي سُلطان أن آخذها أيضاً**. هذه الوصيَّة قبلتُها من أبي» (يوحنَّا ١٠:١٧، ١٨).
- «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه **مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت**، لكي يذوق بنعمة الله الموت، لأجل كلِّ واحد» (عبرانيِّين ٢:٩).
- «الذي في أيام جسده، إذ قدَّم بصُراخ شديد ودموع، طلبات وتضرُّعات، للقادر أن يُخلِّصه من الموت، **وسُمع له من أجل تقواه**» (عبرانيِّين ٥:٧).